خطبة جمعة بعنوان

كلمة تهدم بيتا



لفضيلة الشيخ الواعظ

أيوب بن الصيد حمودة

غفر الله لنا وله وللمسلمين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ¤ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب:٧١،٧٠]

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الامور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

أمّا بعدُ:

فإنّ مكانة اللسان في الجوارح كما القلبُ فيها، صلاحُه صلاحُها، سداده سدادها، رشاده رشادها، فساده فسادها، هلاكه هلاكها، جاء في مسند الإمام أحمد، وفي سنن الترمذي مِن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه، قال: "إذا أصبح ابنُ آدمَ فإن الأعضاء كلَّها تكفّر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا".[1]

ولَرُب كلمة تهوي بالعبد في النار سبعين خريفا، ولرُبَ كلمة ينال بها العبد رِضى ربه، ولرُب كلمة تكون سببا في نجاة صاحبها، ولرُب كلمة تهوي برأسه،

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه:

'لأن يعثر الرجل حتى يخر لوجهه خير له مِن أن يعثر بلسانه'.[2]

يموت الفتى مِن عثرة بلسانه * وليس يموت مِن عثرة الرِّجْل**
فعثرته مِن فيه تودي برأسه * وعثرة الرجل تبرا على مهل[3]**

١) «سنن الترمذي» | أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. | بَابٌ : مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ. رقم الحديث: (٢٤٠٧) «مسند الإمام أحمد» | مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رقم الحديث: (١١٩٠٨)

٢) «أدب الخواص» صـ(٧٥)

٣) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٣٩٩) ، و «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/ ١٩) ، و «مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ١٤٨) ، و «غربال الزمان» للعامري ص (٢٢٨) ، وفي رواية البيتين بعض الخلاف في كل من «الوفيات» و «السير»

يتلاعب المرء بالألفاظ في حين غفلة مِن عقله، وانعدام مشورة أهله، تقوده العواطف، يتملكه الغضب، يكون للشيطان في رأيه نصيب، يطلق للسانه العنان، ما يعلم المسكين أن النار بالعيدان تذكى، وأن الحرب مبدؤها الكلام. أوتعجبون عباد الله إن قيل لكم: إن كلمة تنساب مِن فم صاحبها لا يلقي لها وزنا تكون مِعولا صلبا يهدم بها بيته، يشتت جمعه، يبعثر بنيه، يفرق محبيه؟ أوتعجبون لو قيل لكم: إن كلمة تُبدّل حال صاحبها مِن سعادة وهناء إلى بؤس وشقاء، إلى ضنك وبلاء؟ يستشفع عند أولئك، يكون صاغرا ذليلا، يستشفع عند أولئك ويتزلف لدى هؤلاء، ليرأب ما صدع، ويجمع ما فرق.

أوتدرون أي كلمة هذه؟ إنها، إنها كلمة، إنها كلمة أبكت عيونا، وأججت قلوبا، إنها كلمة قليلة المبنى لكنها جليلة المعنى، إنها كلمة ترتعد الفرائص لذِكرها، تقلب الفرح طرحا، وتبدل البسمة غصة، إنها كلمة الطلاق، كلمة الفراق والشقاق.

فيا لله كم هدمت هذه الكلمة مِن بيوت، كم قطّعت مِن أواصر، يا لله كم ضيعت هذه الكلمة مِن بنين وبنات، يا لله كم تغلغلت الأحقاد في القلوب لأجلها.

إنه والله -عباد الله- لموقف عظيم، يوم أن تسمع المرأة طلاقها، فتكفكف دموعها وتفارق بيتها، يوم أن تجف مآقيها، وتترك مكرهة أهلها وذويها، يوم أن تحرق اللوعة صدرها،

وتترك مجبرة خدرها، يوم أن تقتلع السعادة أصلابها مِن ذلك البيت المسلم المبارك.

عباد الله، لا يكاد يمر يوم إلا ويُعرض فيه صنف مِن صنوف مسائل الطلاق ولا غرْو ولا عجب، فإنما نحن في زمن استخف الناس فيه بالحقوق، أضاعوا ما أوجب الله عليهم، يتراكضون وراء الدنيا، نسوا حقوق أزواجهم وبنيهم، سهرٌ وطرب، ضياعٌ وصخب، وأصلح الله زوجا إن أضاع وقته في لعب الورق واكتفى، إن لم يتعاطى المخدرات، ويشرب المسكرات، أو في أقل أحواله يجالس أهل الخنا والمنكرات، فيتلوث بقربهم،

وما ينفع الجرباء قرب صحيحة *** إليها ولكن الصحيحة تجرب[٤]

أنى -عباد الله- لمثل هذا، كيف لمثل هذا أن يرعى الحقوق، ويحفظ الواجبات؟ كيف لمثل هذا أن يراعي الذمم، وأن لا يفقد الأخلاق والشيم؟ كيف لمثله أن يغفر الزلات، وأن يستر العورات، وأن يواري الخطيئات؟ كيف لمثله أن يتقي الله سبحانه، ويحفظ حدوده، ويبصر أسباب النجاة؟ لا غرو -عباد الله- أن يكثر الطلاق، إي والله لا عجب أن يكثر الطلاق، عندما نكون في زمن يستهان فيه بالخيّرات الطاهرات العفيفات، ويُرفع فيه شأن السافرات الكاسيات العاريات،

---

٤) «الآداب الشرعية» (٥٦٥/٣)

عندما نكون في زمن أصبحت المرأة فيه طليقة العنان، بذيئة اللسان، قليلة الإحسان، كثيرة العصيان والكفران، تخرج متى شاءت، وتدخل متى شاءت، يستشرفها الشيطان خراجة ولاّجة، لا تقيم لزوجها وزنا، ولا تُعلي له شأنا، تتشاغل بزينتها ومفاتنها عن حقوقه وحقوق بيته.

لا غرو -عباد الله- أن يكثر الطلاق عندما تفسد الأم ابنتها فتسعى في شقائها وخراب بيتها.

لا عجب أن يكثر الطلاق عندما يتقمّص كلا الزوجين دور صاحبه، فترى المرأة تخرج لأجل الدينار والدرهم، تختلط بالرجال في كامل زينتها، ويجلس المسكين في بيته متبلد إحساسه، جامد قلبه لا غيرة لديه.

تناصحه، ترشده،

لقد أسمعت لو ناديت حيا *** ولكن لا حياة لمن تنادي[٥]

أيها المسلمون، إن الذي شرع لنا في ديننا الطلاق، حثنا على الوصاية بالنساء خيرا، وذكّرنا بأن فيهن خيرا كثيرا. أمرنا بالعدل والإنصاف، ونهانا عن الجور والظلم والإجحاف.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنه لا يخلو بيت مِن بيوت المسلمين

٥) البيت لكثير عزة من قصيدة له يرثي بها خندفا الأسدي، ومطلعها:

شجا أظعان غاضرة الغوادي *** بغير مشورة عرضا فؤادي

وهو في ديوانه صـ(٢٢٢)، ومعجم البلدان (٥/ ٤٢٩)

مِن مثل هذا، رسول الله ﷺ، خير خلق الله، خير من وطئ الحصى، آلى على نسائه شهرا كاملا يعاتبهن.

فمن أنت عبد الله ومن هي زوجتك حتى لا ترى منها عثرة وزلة؟!

فالسعيد من وُعظ بغيره، السعيد من غض طرفه وصبر وصابر، والشقي من تشبّت بعيب صاحبه وعظّمه وفخّمه،

ومن يتبع جاهدا كل عثرة *** يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب [٦]

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

٦) البيت لكثير عزة كذلك وهو في ديوانه صـ(١٥٤)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه إلى يوم الحشر والدين.

أما بعد -عباد الله- فسددوا وقاربوا، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم، يقول الله سبحانه:

﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]

ويقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا؛ رضي منها آخر"[٧]، فصبر جميل، صبر جميل فإنها إن أساءت إليك يوما فقد أحسنت إليك أياما، وإن أحزنتك عاما فقد أسرّتك أعواما، فاعرفوا للمعروف قدره، وجازوا بالإحسان إحسانا.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولأهلنا ولذوينا، ولمشايخنا ولمن له حق علينا، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

---

٧) «صحيح مسلم» | كِتَابُ : الرِّضَاعُ. | بَابُ : الْوَصِيَّةُ بِالنِّسَاءِ. رقم الحديث (١٤٦٩)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.